

# الخطابات العربية

## في الأرشيف العثماني

يحوي الأرشيف العثماني المئات من الخطابات العربية المتبادلة بين العلماء والقضاة والحكام والأمراء العرب وزعماء القبائل العربية وشيوخها وغيرهم من الأعيان المرموقين في الجزيرة العربية، وبين السلاطين العثمانيين ممثلين في الباب العالي بشكل مباشر أو من خلال ولايات الحجاز والشام وبغداد. وهذه الخطابات وإن كانت نادرة؛ إلا أنها ليست قليلة كما ادعي<sup>(١)</sup>. بل عددها غير قليل إذا قورنت بالوثائق الخاصة بالجزيرة العربية في الأرشيف العثماني، لكن إذا قورنت بمجموع الوثائق التي يحويها الأرشيف العثماني والتي تقدر بمئة وخمسين مليون وثيقة، فإن عددها قليل جداً.

وهذه الخطابات المصنفة تحت مختلف أنواع التصنيفات المحفوظة في الأرشيف العثماني (أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول) تعود إلى مختلف الحقب التاريخية، ولا سيما منذ أن دخلت البلاد العربية تحت النفوذ العثماني في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

(١) من الوثائق العثمانية في تاريخ الجزيرة العربية. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم -. الإمارات العربية المتحدة؛ العين: مركز زايد، ١٤٢٠هـ.

الدكتور :

سهيل صابان

\* بكالوريوس أصول الدين من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ.

- ماجستير من قسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بالجامعة نفسها، ١٤٠٩هـ.  
- دكتوراه من قسم الثقافة الإسلامية، ١٤١٥هـ.

- يعمل الآن باحث معلومات في مكتبة الملك فهد الوطنية.

- له عدد من البحوث والمؤلفات والمقالات المنشورة في مجلات علمية متخصصة في علاقات الجزيرة العربية بالدولة العثمانية.

الطريق

السنة السادسة

العددان: الحادي والعشرون والثاني والعشرون

وتختلف دواعي إرسال تلك الخطابات . فمنها شكاوى ضد شخص أو فئات معينة، ومنها التماس في دفع مخصص مالي تأخرت الدولة في دفعه، أو تعيين عالم على إحدى المدارس الشرعية، أو تأسيس مكتبة، أو وقف، أو غير ذلك من الموضوعات المتنوعة في مختلف المجالات : الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، للحقبة التي رفع فيها الخطاب العربي.

ويبدو من دراسة هذا النمط من وثائق الأرشيف العثماني المتمثل في الخطابات العربية، أن الإنسان العادي لم يكن بإمكانه رفع خطاب إلى شخصية مرموقة في العاصمة إستانبول، ناهيك عن رفعه إلى الباب العالي. وإن كان هناك بعض الخطابات الشخصية لأناس غير معروفين؛ لا سيما في قضايا الميراث، أو تعيين الابن محل والده المتوفى في وظيفة شاغرة؛ إلا أن عددها قليل بالمقارنة بالعدد الكبير لخطابات الشخصيات الكبيرة والأعيان. أما غالبية تلك الخطابات فإنها - كما ذكر - من الحكام وشيوخ القبائل في الجزيرة العربية.

وعلى الرغم من أن تلك الخطابات تبين أوجه العلاقة بين صاحب الخطاب والدولة العثمانية في الحقبة التي رفع فيها الخطاب؛ إلا أنها توضح من جهة أخرى المستوى الثقافي واللغوي لكاتب الخطاب ، كما تبرز بعض الخصائص الفنية التي تميزت بها خطابات دون أخرى.

وإذا ما أمعنا النظر في تلك الخصائص الفنية للخطابات، نجد أنها تحتوي - في الغالب - على التاريخ المكتوب فيه الخطاب. كما تحتوي على توقيع صاحب الخطاب أو اسمه إن لم يكن له ختم. ومعظم الخطابات باللغة العربية الفصيحة. غير أن هناك بعض الخطابات باللهجة التي يتحدث بها صاحب الخطاب في قبيلته وأفراد أسرته. ولا يمكن في الحقيقة قراءة بعض الكلمات في مثل هذا النمط من

- الخطابات، ما لم يكن الإنسان ملماً باللهجة التي تتحدث بها قبيلة الشخص .
- ومن الأمور الطريفة التي يجدر ذكرها في هذا الصدد أنواع الأختام المستخدمة في مثل هذه الخطابات العربية . فعلى الرغم من أن معظم الأختام الموجودة على تلك الخطابات تحوي فقط اسم صاحب الخطاب، مجرداً من الأوصاف، إلا أن هناك العديد من الأختام التي تحوي آيات قرآنية كريمة، فيها اسم صاحب الخطاب . من ذلك :
- قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ <sup>(١)</sup> استخدمه الشريف عبد الله بن محمد ابن عون، أمير مكة المكرمة .
- قوله تعالى : ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ <sup>(٢)</sup> استخدمه إبراهيم بن محمد علي باشا، والي جدة .
- قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ <sup>(٣)</sup> . استخدمه إمام وخطيب الحرم المكي الشريف .
- ومنها الدعاء المسجوع : «رَبِّ سَاعِدِ الشَّرِيفَ غَالِبَ بْنِ مُسَاعِدٍ» . استخدمه أمير مكة المكرمة الشريف غالب بن مساعد .
- ومن هذا النمط أيضاً : «فليوفقْ لعمل الخير» . استخدمه داود باشا [شيخ الحرم أو محافظ المدينة المنورة] <sup>(٤)</sup> .
- ومنه أيضاً : «رَبِّ وفق عبدك محمد بن الحسن» . استخدمه شيخ خطباء الحرم المدني محمد بن الحسن <sup>(٥)</sup> .

(١) سورة مريم . الآية : ٣٠ .

(٢) سورة الصافات ، الآية : ١٠٩ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٦٩ .

(٤) في ١٩ شوال ١٢٦٤هـ . الأرشيف العثماني، تصنيف Irade, Mutenevvi 3762

(٥) في عام ١٢٧٢هـ . الأرشيف العثماني، تصنيف Irade-Dahiliye. 23321

- ومنه «الله الملك الحق وعايض عبده» استخدمه عايض بن مرعي. عام ١٢٥٩هـ<sup>(١)</sup>.
- ومنه كذلك "ربنا الله المعين، عبده محمد أمين" المستخدم من لدن صاحبه محمد أمين في عام ١٢٨٥هـ<sup>(٢)</sup>.
- ومنه أيضاً «عبد الله بن أحمد، الوثائق بالصمد»<sup>(٣)</sup>.
- ومنه ختم محافظ مكة المكرمة حسن باشا عام ١٢٣١هـ «ما رآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن»<sup>(٤)</sup>.
- ومنه كذلك «يا غافر الذنب سرعة، اغفر لعبدك جمعة»<sup>(٥)</sup>.
- ومنه دعاء باللغة التركية «خَيْرَ لَهُ ختم أوله، محمد أمين»<sup>(٦)</sup> أي اختتم بالخير لمحمد أمين. ويبدو أنه كان مدير أعمال والي الشام في إستانبول.
- يضاف إلى ما سبق ذكره الخطابات والبرقيات الجماعية التي قدمها العديد من الشخصيات المرموقة في الجزيرة العربية إلى الباب العالي. منها خطابات للسادة العلوية في المدينة المنورة<sup>(٧)</sup>، وبرقيات لشخصيات نجدية<sup>(٨)</sup>، وخطابات لتجار

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف الإرادة، مسائل مهمة I.Mes.Muh. 2437

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف الإرادة، مسائل مهمة I.Dah. 41055

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.AZJ.47/80

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف H.H.36070-A

(٥) الأرشيف العثماني، تصنيف H.H.36070-F

(٦) الأرشيف العثماني، تصنيف H.H.35906

(٧) وعلى سبيل المثال الخطاب الذي بعثه السادة العلويون بتأسيس مدرسة في المدينة المنورة في عام ١٨٢٣هـ. انظر: الأرشيف العثماني، تصنيف Cevdet, Dahiliye 15321

(٨) منها تلك الخطابات المرفوعة من أعيان نجد تؤكد قبولهم الأمر من آل سعود حكاماً على نجد، طالبين موافقة الباب العالي على ذلك، وذلك في عهد الدولة السعودية الثانية. انظر:

الأرشيف العثماني، تصنيف I.Mesaili Muhimme, 2431

في الأحساء<sup>(١)</sup>.. إلخ

وبالمقابل هناك خطابات عربية أرسلها السلطان العثماني إلى بعض الشخصيات في الجزيرة العربية، ولا سيما الخطابات الموجهة إلى أمراء مكة المكرمة في مختلف المناسبات: سواء أكانت رداً على خطابات أولئك الأمراء، أو تبشيراً بتيسير فتح من الله تحقق على يد السلطان، أو غير ذلك من الأمور. كما أن هناك العديد من المنشورات الإعلامية العربية وزعتها الدولة العثمانية في المنطقة على الأهالي في العديد من المناسبات، بغية استمالتهم لها والوقوف إلى جانبها ضد من اعتبرتهم متمردين في وجهها..

### نماذج من الخطابات

١ - خطاب<sup>(٢)</sup> بعث به الإمام سعود بن عبد العزيز آل سعود إلى والي الشام يوسف باشا عام ١٢٢٤هـ. ونصه<sup>(٣)</sup> :

السلام التام والتحية والإكرام يُهدى إلى سيد الأنام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، ثم ينتهي إلى جناب الأحشم المكرم : سلّمه الله من الآفات واستعمله بالباقيات الصالحات ، وبعد : ما ذكرت من طرف الحاج فأنت تهفم أن البيت بيت الله ، والوفد وفده ، ولا نمنع عن بيته إلا من أُمِرنا بمنعه. والله سبحانه

(١) منها البرقية التي رفعتها مجموعة من أعيان نجد (الأحساء) إلى الباب العالي بإبقاء الضابط عبد الحميد بك في قيادة الفرقة العسكرية بالأحساء : نظراً لتدينه واستقامته وتحقيقه العدل والحقوق في اللواء. انظر: الأرشيف العثماني، تصنيف *Yildiz, MTV.203/116*. وكذلك خطاب شكوى المرفوع أيضاً من أهالي الأحساء عن أوضاع الأملاك التي تدخل فيها القائد حميد بك في عام ١٣١٨هـ. انظر: الأرشيف العثماني، تصنيف *Yildiz, MTV.203/60*

(٢) نص الخطاب محفوظ في الأرشيف العثماني، تصنيف *H.H. 19550-J*

(٣) نص الخطاب خال من علامات الترفيم.

وتعالى قال: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾<sup>(١)</sup>. وقال تعالى: ﴿سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يَرُدَّ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمُ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال تعالى خطاباً لأهل الإيمان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾<sup>(٣)</sup>. ولا يخفاكم ما يجري مع الحاج من الأمور العظائم الشركية من دعوة غير الله، وتعظيم الشرك بالله، وتعظيم المشاهد، وترك الفرائض. وأعظم الفرائض بعد التوحيد الصلوات الخمس، لا يؤذَن لها ولا يصلي مع أحد جماعة، والأمور العظائم القبائح التي تنقل مع الحاج من أنواع المنكرات والفواحش من اللواط والقحاب وشرب المسكر والزمر والطبل وما يُشابه ذلك من أنواع الملاهي التي يُعرف قبحها. والله قال جل جلاله: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾<sup>(٤)</sup>. فإذا كان الرفث والجدال من مبطلات الحج، فكيف بهذه القبائح والمنكرات. فإن قال قائل: إنه لا يفعل ذلك. فنحن نقول: ما نعمُ الناس بذلك، ولكن الحكم على الظاهر. والظاهر مع الحاج وفي أوطانكم فعل ما ذكرناه. ومن رعاياكم من يقول: هذا ما يفعله إلا طوارف [أي حاشية] الصلطان [السلطان]، وإن الصلطان [السلطان] هو الذي يأمر به. ونقول: هذا لا يفعله ولا يأمر به مَنْ له أدنى عقل وبصيرة في الدين فضل [فضلاً عن] أن السلطان يأمر به أو يرضاه. وهذا من الافتراء عليه والكذب. ولما أراد الله أن أهل الحرمين يدخلون في الإسلام، ويشهدون أن الذي هم عليه قبل ذلك أنه الباطل. والشاهد بذلك الشريف والعلماء والعامّة. وأراد الله أن يجعل لنا في الحرمين حكم [أ] نافذ [أ] وأمر [أ] مطاع [أ] فلم يكن لنا عذر من الله من منع [ما] أمرنا الله بمنعه، ونمنع من منعه القرآن، ونأذن [لمن] أذن

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة الحج، الآية: ٢٥.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

له القرآن. فغاية المطلوب ومنتهى [منتهى] المراد عبادة الله وحده. ولا يُشرك له. وترك عبادة ما سواه. وأن لا يصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، وإقام [إقامة] الصلوات الخمس التي فرض الله في كتابه بعد الشهادتين، وأداء الزكاة والصوم والحج، ومتابعة الرسول ﷺ، ونفي البدع وإزالة المنكرات، وإقامة الحدود على من أصاب منها شيء [أ]، وإعطاء كل ذي حق حقه، وإنصاف الضعيف من القوي بالعدل. فهذا جملة ما نحن عليه، وتفصيله يطول ذكره. فمن عمل ذلك ودان به فهو المسلم له ما لنا، وعليه ما علينا براً وبحراً. ونحن وهو في بلد الله الحرام سواء. ومن أبى عن ذلك منعناه من بلد الله الحرام، وقاتلناه حتى يكون الدين كله لله، كإين [كإثبات] من كان. ولما ورد إلينا كتابك وأدميك [ومندوبك] أركبنا أودم من أودمنا يمشون بالحاج على هالشروط [أي هذه الشروط] المذكورة، بأنهم يظهرون الإسلام، وإقام الصلوات الخمس جماعة بأذان وإقامة، وجميع المنكرات تزال، وأن الحاج يبائعون على العمل بالإسلام، ولا يحج عسكر قليل ولا كثير، ولا أزغة حرب، ولا يحج المحمل؛ لأن المحمل فيه اعتقادات وتآليه به من دون الله. وظهرت للمسلمين ورأوها في مخالطتنا لكم في الحج الماضي، ولا نشتهي أن المحمل يجيء بأماننا ويرجع ما وصل مكة، ولا يجوز لنا [أن] نقر سياق الشرك ولا نرضى به. وعلى أن جميع قوانين الحرمين المعروفة التي للبيت وخدام البيت والشريف وعامة أهل مكة وكذلك ما كان لمسجد الرسول ﷺ وخدامه، وما كان لأهل المدينة من جميع القوانين علماءهم وعامتهم وأهل القلعة وكذلك قانون [أ] بن مضيان وحرب أن الجميع ما يختلف منه [في] شيء. وأنه يسلم بأيدي رجايلنا وعلى أن ما يبقى في الحرمين ممن قدم معكم أحد، فإن أحدثتو [أحدثتم] بعدما يمشي الحاج، حدث [أ] على الإسلام وأهله، فلا بوجهي [أي بضمانتي وعهدي] من الحاج شيء. فإن صبرتمو [صبرتم] بما ذكرنا فالحاج يمشي بوجهي عن جميع المسلمين ذهاباً وإياباً. وذكرنا

لما حسن ورجب مثل ما ذكرنا في هذه الصحيفة. وذكرنا إلى أوادمك أنك معاهدنا على الإسلام، وأنك أمرت بالصلوات تقام، وأمرت على معازف الخمر ترفع، وهذا إذا وفقك الله للعمل به، وعملت بالتوحيد، وأزلت الشرك، وأقامت الفرائض، فهو عنوان السعادة. وهو الذي يحصل لك به الحكم في الدنيا، والمك الثابت في الآخرة. فإن عملت بذلك فالمسلمون أعوان لك وأجناد بلا ديوان، ولو تطلب من المسلمين أجناداً، جاءك منهم ألف في يوم واحد، يحبون الموت مثل محبتهم الحياة، رجاء [أي يرجون بذلك] الجنة وإيماناً بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾<sup>(١)</sup> أهل عدد وعدة وحدود وبأس شديد، والمدد من رب العالمين والإسلام. كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّغِ الْإِسْلَامَ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. وأنا أدعوك بدعوة رسول الله لمن قبله: أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين. ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. وأنا أقول: فإن أسلمت فخيرتها لك [أي فخير عاقبتها]، فإن توليت فنقول فسيكفيكم الله وهو السميع العليم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

٢ - خطاب<sup>(٤)</sup> بعث به الشريف حمود إلى أحمد طوسون باشا ومنه إلى والده والي مصر محمد علي باشا، الذي رفعه بدوره إلى السلطان العثماني، وذلك في ٢٢ من المحرم ١٢٢٨هـ. ونصه<sup>(٥)</sup> :

(١) سورة التوبة، الآية : ١١١ .

(٢) سورة آل عمران، الآية : ٨٥ .

(٣) سورة آل عمران، الآية : ٦٤ .

(٤) وهذا الخطاب أيضاً خال من علامات الترقيم.

(٥) نص الخطاب محفوظ في الأرشيف العثماني، تصنيف H. H. 19640-A

بسم الله الرحمن الرحيم. إن أحسن ما تزينت به الدفاتر، وتشرفت به الخطب والمنابر، حمد الله السلطان القاهر، الواهب نعمته لكل شاكر، والصارف نعمته عن كل صابر. وأفضل صلاته وسلامه على نبيه المبعوث من خير العشائر، إلى كل منجد وغاير، سيدنا محمد والد البدور الزواهر. ثم إهداء السلام الزاهر، والإكرام المتكاثر، المعلن بالبشائر، إلى ذي الهمة العالية في المفاخر، والأيادي الواكفة على كل باد وحاطر [حاضر]، سيف الدولة السلطانية، وعلم الصولة الخاقانية. الوزير المعظم، والدستور المكرم، المشار إليه أعلاه، لا زال محروس الغنى من الغير، مصفى النعماء من الكدر، ملحوظاً بالنصر والظفر وبلوغ كل وطر، وبعد: فصدور السطور رفع الدعاء المأثور، والوداد المعمور، والسؤال عن حالكم بالأصال والبكور، أسمع الله عنكم ما يسرّ الودود، ويغمّ الكاشح الحسود. بعد وصول خطكم الكريم، ولفظكم الحالي القويم، الجالب للأنس العظيم، فلقد تشرفنا بوصوله، وتزينت حلالتنا بحلولة، كيف وهو أعز وأصل إلينا، وأشرف نازل علينا، وذكرتم ما منّ الله به عليكم، وأسأله إليكم من الفتح العظيم، والنصر المقيم. فقد تفضلتم وتطولتم بالتحقيق الشافي لكل سقيم، وهذا من فضل الله الكريم، ومنه الجسيم. وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم. نسأل الله ربنا أن لا تزال أحوالكم في ازدياد، بالغين أقصى كل مراد، الذي يسرّ أهل الوداد والولاء والاتحاد. وذكرتم وصول جانب المراكب السعيدة، إلى بنادرنا اللّحيّة والحديدة، فالبنادر بنادركم، والطرف طرفكم. وذكرتم أنه لا بد من تحقيق يصلنا فهو المأمول من تفضلاتكم، رفع الأخبار ونشر روائح أعطاركم، فإننا شيقون إلى ما تجدد من الأخبار لاستنشاق روائح الأعطار. نسأل الله تبارك وتعالى أن يمن على أهل الإسلام بنصركم، ويُعلي في الخافقين حميد ذكركم. آمين اللهم آمين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. حرر في ٢٢ شهر المحرم الحرام ١٢٨٨هـ [هـ] والسلام ختام. [ختم] .

٣ - خطاب<sup>(١)</sup> بعث به الحسين بن علي حيدر إلى السلطان عبد المجيد بن محمود الثاني في العاشر من جمادى الآخرة عام ١٢٥٩هـ. ونصه<sup>(٢)</sup> :

بسم الله الرحمن الرحيم. نور الله شمس الإسلام وأطلعها، وفجر عين معين الشريعة النبوية وأنبعها، وفتح كمام السعادة الأبدية وأينعها، ولألا كواكب الدين الحنيفي وأسطقها، وأعلى منارات الملة البيضاء ورفعها، وزلزل جموع الشرك والطغيان وزعزعها، وألف بين قلوب المسلمين وجمعها، بدوام مولانا السلطان العظيم، ذي الملك الباهر العقيم، القاطع بسيف عزمه عنق كل جبار أثيم، السالك في أوامره ونواهيه الصراط المستقيم، شمس الخلافة وقمرها المضيء في الليل البهيم، المتصف بحماية ابنا<sup>(٣)</sup> [فاطمة البتول، سلالة النبي الكريم، ﷺ] أفضل صلاة وتسليم، الباسط عليهم ظل عدله على التعميم، شامي الفخار، زاكي الأصل والثمار، الذي لا تكاد تحصى صفاته بتعداد، ولو كان الشجر أقلاماً والبحر مداداً<sup>(٤)</sup>، معدن العدل والفضل واليمن والأمان، المشتمل عليه قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾<sup>(٥)</sup>، حامي ثغور الموحدين، إمام الغزاة والمجاهدين، العالم بالجهاد وفرضه، الصادق عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم، «السلطان ظلُّ الله في أرضه»، وارث الخلافة والملك، سلطان العرب والعجم والترك، الخنكار الكبير، والخاقان الشهير، السلطان ابن السلطان ابن السلطان<sup>(٦)</sup>، خلد الله ملكه وأدام عليه سعادة أيامه، ورفع مجده وأنفذ أحكامه، ولا زال الوجود بيقا<sup>(٧)</sup> [سعادة سيادته

(١) وهذا الخطاب أيضاً خال من علامات الترقيم.

(٢) نص الخطاب محفوظ في الأرشيف العثماني، تصنيف *Irade- Mes.Muh.* 2437

(٣) سورة النحل، الآية : ٩٠ .

(٤) هنا محل كلمتين فارغ، فإما أنه كتب بالقلم الأحمر فلم يظهر في التصوير، أو أنه أبقى فارغاً من الأصل، حيث كتب اسم السلطان في أعلى الخطاب.

عامراً، والإيمان في أيام سلطنته قويا ظاهراً، أمين اللهم أمين. وأهدي على مقامه الشريف نجايب ركائب التحية والتسليم، ورحمة الله وبركاته الطيبة الصيبة الموصولة بنعيم دار النعيم. وبعد : فإنه ورد من تلقائكم أطل الله بقاءكم الفرمان العالي، الذي ابتهجت بوروده الأيام، وأضاءت به الليالي، فسطعت وتعلت أنواره، وطلعت بالمسرات شموسه وأقماره، وزخرقت بما تقر به العيون بحاره، وتحاسد على شرفه ليل الزمان ونهاره، فوجدناه أشفاً [أشفى] من الترياق، وألذ من تلاقي الأحبة بعد الفراق، يفوق اللؤلؤ الثمين منشوراً، ويفضح شقائق النعمان زهوراً، فتعطرت الأندية بنشره، وأعلنت الألسن في الآفاق بذكره

حبذا مدرجاً كريماً جليلاً<sup>(١)</sup> زانه منشيء كريم جليل

لفظه الدر في السموط نضيد ويمعناه سلسل سلسبيل

ولقد تضمن من الفصاحة والبلاغة ما يعجز عنه قدامة وابن المراغة، فلو رآه الملك الظليل لطأطأ رأسه خاضعاً، أو لبيدأ [لبيد] البليغ لخرَّ ساجداً راکعاً، وعرفنا ما ذكره سلطان الأمم، مالك رقاب العرب والعجم، وامتلئنا لأمركم الكريم، وقابلناه بالإجلال والتعظيم ونحمد الله سبحانه، الذي وفقنا لطاعتكم، وذادنا عن السلوك في مسالك مخالفتكم، ولنا في ذلك الحظ الأسنى، والنصيب الأوفر الأهنأ، ونرجو من الله تعالى ثم من سعادتكم نيل الشرف والمنى والمطائب، وكمال العزِّ ببلوغ نهاية الأمانى والمآرب، وقد تفضلتم وتطولتم على مملوك إحسانكم بإحالة منصب اليمن إليه، أعلى الله شأنكم. وكثر خيركم، وضاعف أجركم، وأعزَّ سلطانكم، ولا نقدر على مكافأتكم إلا بالشكر والشا[ء] والدعا[ء]، كما هو من مملوك الإحسان عادة، خلد الله ملككم، وجازاكم بالحسنى وزيادة. والمرفوع إلى المسامع الشريفة، والعتبات العالية

(١) هكذا ورد. وصحته لغوياً ومراعاة للقفافية: حبذا مدرج كريم جليل.

المنيفة، أن ما أحلتموه ووجهتموه إلينا من تهامة اليمن وجبالها، لم يكن في يدنا منه إلا شيء جزئي من تهامة، فالجبال جميعها بيد حاكم صنعاء، وهي غير مضبوطة، ولا آمنة سبلها، ولم يحسن في تدبير ضبطها صنعاً، وعدن وبرورة<sup>(١)</sup> هو من البنادر المضافات إلى المخا، وصار بيد الإفرنج. هذا ما ننهيه إلى المسامع الشريفة، وفي الجميع تدبيركم ونظركم الثاقب، وما رأيتموه صواباً فلا شك ولا ريب أنه صائب، ومملوك الإحسان أسير الامتتان، يترجى وصول فرمان، مصحوباً بما يتشرف به ويظهر به ناموسه على القاصي والدان<sup>(٢)</sup>، أدام الله دولتكم، وأبد سيادتكم، ولا برحتم في حفظ الله الكريم، وعليكم أزكى التحية وأشرف التسليم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ..

العاشر [من] جمادى الآخرة ١٢٥٩ هـ .. الحسين بن علي بن حيدر

٤ - خطاب من محمد بن خليفة آل خليفة، بعث به إلى محمد نامق باشا في ٢٥ شعبان عام ١٢٧٨ هـ. ونصه<sup>(٣)</sup> :

بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن خليفة آل خليفة إلى جناب عالي جناب، حميد المآب، نجبة الأطياب، وعمدة الأنجاب، الأجل المكرم صاحب المراتب المجيدة والأفعال الحميدة الأحشم نامق باشا المحترم؛ سلمه الله تعالى من كل آفة، وأمنه من كل مخافة آمين. أما بعد: الموجب لتحرير رقيمة الوداد هو السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ثم السؤال عن صحة حالكم الشريفة. ولا يخفى جنابكم الشريف بأن [نا] نحن قد أرسلنا لجناب الدولة العلية كتاب[أ] سابق[أ] بصحبة محمد

(١) برورة: أراد ما يتبع ميناء عدن من البراري.

(٢) حذف الياء هنا للسجع.

(٣) نص الخطاب محفوظ في الأرشيف العثماني، تصنيف Irade-Dah 33349

أفتدي على حياة المرحوم السلطان عبد المجيد، ولا جاءنا له جواب إلى الآن. فعسى المانع يكون خيراً<sup>(١)</sup> إن شاء الله تعالى. فبالحاضر بلغنا من جهة جناب السلطان عبد العزيز بأنه ليس غافلاً<sup>(أ)</sup> عن طوارفه [أي عن توابعه] الذين هم محسوبين [محسوبون] ومتعلقين [متعلقون] عليه من المسلمين. بخلاف السلطان عبد المجيد. فعاد [أي فلهذا] المأمول من جنابكم إن شاء الله أن لا تخرجونا [تخرجونا] من الخاطر: لأن [نا] نحن طارفة ومحسوبين [محسوبون] عليكم ومتعرضين [متعرضون] لخدمة جناب السلطان عبد العزيز أيده الله ووفقه لما يحب ويرضى. وما في خطرنا من الجواب تجده إن شاء الله على لسان خادمتنا الواصل لخدمتكم، وبه كفاية. هذا.. ولا تقاطعوننا [تقاطعوننا] من أخباركم السارة على الدوام. ومهما يبدو لجنابكم من المهام، تُقضى بعون الملك العلام. وأنتم في أمان الله وحفظه وحسن رعايته. والسلام. جرى ذلك في ٢٥ [من] شهر شعبان [من عام] ١٢٧٨ هـ.

(ختم مدور. وعليه اسمه)

٥ - خطاب، بعث به الإمام عبد الله بن فيصل آل سعود، إلى والي جدة محمد وجيهي باشا، في عام ١٢٨٣ هـ. ونصه<sup>(١)</sup> :

بسم الله الرحمن الرحيم. قدوة الأعيان والأكابر، وعمدة أرباب الرتب والمفاخر، جناب المكرم، والرئيس المقدم، حضرة والي أياالة الحجاز محمد وجيهي باشا؛ أدام الله له أسباب العناية والتوفيق، وسلك به أهدي منهج وطريق. أما بعد؛ إبلاغ أتم التسليم وافر التحيات والتكريم، قد وصل جوابكم، ولطيف خطابكم، المشعر بتفويض أياالة جدة والحرمين الشريفين إلى نظركم السديد، وأنه قد حصل

(١) نص الخطاب محفوظ في الأرشيف العثماني، تصنيف *Irade- Mec.Mah. 1381*

الأمان والاطمئنان لأهالي تلك البلاد، وسائر مَنْ قصدها من الأمم والعباد، فالحمد لله على ما مَنْ به من التوفيق والصلاح، والشكر على نيل تلك المكارم والفلاح. وما أشرت إليه من خصوص المطلوب إلى خزينة جدة، فلا يخفى [على] تلك الحضرة السامية حال أهالي تلك البلاد العربية والأقطار النجدية، وما هم فيه من الجذب وغلاء الأسعار، وضعف من سكنها من البوادي وأهل الديار، مع ما هم فيه من ضعف العيش والجهد الشاق والجوع. فلا ترضى ذلك الشريعة المطهرة، ولا تقتضيه نظر الدولة التي هي بالمكارم مشتهرة. وقد كنا في المدة السابقة كان يدفع ذلك المذكور جناب عباس باشا والي مصر، لأنه هو الواسطة بيننا وبين جناب شريف مكة لما توجه إلى نجد عام ثلاث وستين. وبعده جاءتنا مكاتبة الدولة العالية لطلب خيول على وجه الشراء، وأرسل إليهم جناب والدنا المرحوم ثمانين حصاناً [أ] من جياد الخيول العربية. ثمنها المرسوم في دفتره ثمنٌ جسيم. وذلك على يد نامق باشا صحبة سليمان بيك، ولم نأخذ لها قيمة ثمن. وحصل منهم مزيد اختصاص [هنا كلمة غير واضحة] لمن قبلهم. وكنا بعد ذلك ننتظر من الدولة العلية - أرشدها ربُّ البرية - مرتبّات جسيمة، تُعيننا على ما نحن بصده من كفّ الأضرار وقمع البوادي عن أطراف الحرمين الشريفين، وتأمين السبل والإحسان إلى الضعفاء. وهذا من أهم مقاصد الدولة وإرادتها. ولولا ذلك لم نتعرض لطلب رئاسة. ولكن الأمر الشرعي والسياسة أوجبت معاناة ومكابدة تلك الأطراف، لاستقرار الحال وحصول الأمن والرخاء. وأهل نجد رجال بلا مال. هذا ما لزم بيانه. وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

١٢٨٣ [هـ].. عبد الله بن فيصل السعود.

(ختم مدور وعليه اسم)

٦ - إعلان عربي من الدولة العثمانية. وزع على الأهالي في الأحساء، لإضفاء طابع المشروعية على الحملة التي قام بها مدحت باشا على المنطقة عام ١٢٨٨هـ. ونصه<sup>(١)</sup> :  
إعلان. بسم الله ناصر الحق، ومؤيد الصدق، الله أعلم حيث يجعل رسالته .  
ليسمعوا ويعوا كافة أهالي قرى نجد وبلدانها وعشائرها وعربانها بأن الباعث لترقيم هذا الإعلان ونشره ، ليفهموا ويتيقنوا بأن حضرة إمام المسلمين ، وخليفة جناب سيّد المرسلين، سلطاننا الأعظم خلد الله ملكه وسلطانه، أعدل الملوك على العموم ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ومنار شرع الحق لديه قائم، مفرّق بين الحلال والحرام، ومتّبع سنة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام، يؤتي ذوي الحقوق حقوقهم في الأحكام، ويسوّي بين الشريف والمشروف من الأخصام، في الوقوف والنظر في الكلام، خليفة من أنزل عليه القرآن المجيد، وتدبّر ما فيه من الوعد والوعيد، وهو خادم الحرمين الشريفين مكة والمدينة، وطويّته وسجّيته عمارة البلدان، وتخفيف الوطأة عن الرعايا، ويسدي إليهم الإحسان، يسعى في تأمين السبل للمارة بكمال مجهوده، ويحفظ الثغور عن الأعداء بعساكره وجنوده، ومادام نخبة آماله السلطانية، وأعظم ما في باله وأفكاره الخاقانية، تزييد حسن حال تبعيته وأمنيّتهم، وتيقنه واعتقاده بأن رفع وإزالة الأحوال المخالفة لما ذكرناه، من مترتبات ذمة متبوعيته، وإطاعة ظلّ الله في أرضه وخليفة رسوله على خليقته فرض عين على كافة الأمة المسلمة المحمدية ...  
بالجادة الغير [هكذا] المستقيمة وعصيانه، وركوبه مطيّة الفساد وطغيانه، وتجريّه على الحالات التي ليست بمرضية، جلب نظر حضرة الملوكية، وصدرت أوامره وإرادته [أي مرسومه] العالية السّنية، بسوق هذه الفرقة العسكرية، لأجل إصلاح هذه الحال، وإعطاء كلّ من التبعة المطيعين ما يستحقوه [يستحقونه] من الإكرام

(١) نص الإعلان محفوظ في الأرشيف العثماني، تصنيف Irade-Dah 44230

والإفضال، والمتجاسرين من التأديب والتربية والنكال، وكون أن من شأن عدالته السلطانية، ومقتضى مرحمته ورافته الخاقانية أن لا يأخذ المجرم قبل الإنذار، ويبيدي له النصح والإحذار، ويأخذ الحجة على من أساء له، لأجل إجراء مجازاته كما هو مأمور من قبل العزيز الحكيم عليه، قد تحررت بهذه الدفعة من طرفنا رقيمة مخصوصة [أي خطاب خاص من عندنا] إلى المرقوم ... متضمنة أمرين. أحدهما: أن يفرّق ما هم مجتمعون عليه من العشائر الأشقياء [أي المتمردين] أهل الجيش والخيّل، وأن يفرّ هادياً [هادئاً] لينجو بنفسه من حلول المقت به والثبور والويل. ثانيهما: أن يرمي سلاح الفتنة والخلاف والنفاق، ويتّزّر بإزار الطاعة والندامة والوفاق، ويأتي للدخالة وطلب العفو بكمال التواضع والتذلل، ويلتمس بواسطتنا استجلاب رضا الدولة العلية، نسأل الله تعالى أن يديم ظلّها، مستوعباً كافة التبعة والرعية، آمين. فإن أثر فيه النصح واهتدى، فإنه سيعفى عنه ونسامح جرائمه السابقة، اقتداءً وامثالاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾<sup>(١)</sup>. وإن أبى وأصرّ على ما هو منطوق عليه من الحال المذموم المقدوح، فسيدخل نفسه في ضمن الآية الكريمة: ﴿مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾<sup>(٢)</sup>. فحينئذ نحن مجبورون على تربيته وتأديبه بالوجه اللائق، والحال الموافق، لأحكام قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾<sup>(٣)</sup> بسوق الفرقة العسكرية التي هي تحت رياستنا المعوّدة على الحرب، والقتال، القادمة على مقارعة الأبطال بقوة الجنان، فلو شاهدوها الأشقياء

(١) سورة النساء ، الآية : ١٧ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٦ .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٣٣ .



أرسلنا له السيد زين جمال الليل وعبد القادر هاشم. فقال لي السيد عبد القادر بأنه لا يحضر. ثم بلغني أن المذكور أرسل السيد زين جمال الليل وطلب بعضاً من السادة وبعضاً من غيرهم، ومرادهم إنشاء [هكذا] فتة في الحرم النبوي الشريف. فلما صليت الظهر ذهبت لبيت المشيخة، وحررت هذه المذكرة لسعادتكم، إعلماً بما وقع على ناموس المشيخة الجليلة. وقد تعلمون جزاء من يعصي على الأمر ويمتنع عن المجيء ويجمع الجمهور لأجل الهجوم على شيخ الحرم الشريف. فيلزم الاستتقاق الكامل من السيد صافي وأهل جمهوريته، والتفكر من سعادتكم فيما يكون عاقبة الجمهور به. والأمر لمن له الأمر..

٨ - برقية عربية رفعها بعض علماء ومشايخ الأحساء إلى قيادة الجيش العثماني في إستانبول، للإبقاء على الضابط عبد الحميد على رأس عمله. ونصها<sup>(١)</sup> :

[إلى مقام قائد الجيش]. بعد الدعاء لمولانا أمير المؤمنين [فإن] لواء نجد [منذ] ثلاثين سنة بحكم الدولة العلية. كثير من العسكر والقوماندانية [أي الضباط] جاؤوا وراحوا. القوماندان [أي الضابط] الموجود ومدير أملاك [الأراضي الأميرية] السنية أمير آلاي [العميد] عبد الحميد بك من حين قدم بلدنا ملتزم العدالة والحقانية، ومن أهل الديانة، ما رأينا أمثاله بخصوص [الأراضي] السنية، ناصح الدولة [هنا ثلاث كلمات لم يتضح معناها]، والأهالي ينظر واحد من هذا الخصوص [لعل المعنى: أنه ينظر للأهالي بنظرة واحدة، دون التفريق بينهم في توزيع الأراضي الأميرية عليهم]. الأهالي عرفت[ه] [بهمة المومى إليه [أي الضابط عبد الحميد] عدالة الدولة العلية [أي من خلاله تعرفوا عليها]. با صوب الأوردو [أي نظراً لأن الجيش] تقرب تبديله [أي قد اقترب تبديله] عامة [الأهالي]

(١) نص البرقية محفوظة في: الأرشيف العثماني، تصنيف 203/113 Yildiz،

متأسفين [متأسفون] من رواحه . لأجل هذا نسترحم من عدالة أمير المؤمنين مع التلطيف له بالبقاء [له] في بلدنا . حتى نبقي في الراحة والأمنية [أي الأمان] . ونرفع الأكف بالدعوات الخيرية لمولانا أمير المؤمنين . علماء ومشايخ نجد [وتحوي البرقية أسماءهم] . [وتاريخها: ١٣١٨هـ] .

٩ - خطاب، بعث به الملك عبد العزيز إلى سليمان شفيق باشا والي البصرة ، الذي رفعه بدوره إلى نظارة الداخلية العثمانية عام ١٣٣٣هـ . ونصه<sup>(١)</sup> :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد العزيز آل سعود إلى حضرة والي ولاية البصرة وقائد الفيلق عطوفة سليمان شفيق باشا؛ بناءً على دعوة حضرة صاحب العطوفة السيد طالب بك، وانقياداً لأوامر الحكومة السنية، فارقت وضعي الذي يبعد عن البصرة مسافة خمسة [خمس] وعشرين مرحلة، مع قسم من قومي . وحضرت لضواحي الكويت، وتركت جميع أشغالي إلى يومنا هذا لنتحصل نتيجة تدل على منافع المسلمين . فبناءً على ذلك صرت مجبوراً [أ] على الرجوع، وتركت معتمدنا بتبليغ الحكومة من بعدي، يلتحق بنا بعد خمسة أيام . فإذا تأخر الجواب يكون دليل [أ] على عدم الموافقة، وحرمانني من رضا الحكومة . فأسأل الله أن لا يحرمني من رضاها . الأمر لكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ٢٠ جمادى الآخرة [١٣٣٣هـ] .. أمير نجد عبد العزيز آل سعود ..

[وقد ذكر الوالي سليمان شفيق باشا هنا في ديباجة الرسالة، باللغة العثمانية، أنه استلم الرسالة السابقة من ابن سعود، وأنه ردَّ عليه بأنه نظراً لكون بعض وزراء الدولة في رحلة خارج إستانبول، لقضاء بعض المهام، فإن ذلك أدى إلى بعض التأخير في المسألة، وأنه سوف يُبشِّره قريباً . ولذلك فالمرجو إصدار الأمر العالي الخاص بالمذكور سريعاً، وإرساله] .

(١) نص الخطاب محفوظ، في الأرشيف العثماني، تصنيف Dah.KMS.2-2/2

## الخاتمة

إن الأرشيف العثماني يضم الكثير من الخطابات العربية. وما عرضناه في هذا البحث نماذج يسيرة ومتنوعة، اخترناها من الأرشيف، لإعطاء فكرة للباحث العربي عن مضمونها.

ومما لا شك فيه أن كل نص من تلك النصوص يحتاج إلى دراسة مستقلة؛ لا من حيث مضمون الخطاب والأوضاع السائدة في تلك الحقبة من خلال ما احتواه من موضوعات تاريخية، ولا من حيث موقف أصحاب الخطابات من الدولة العثمانية، أو موقفها منهم، وكيفية تعامل الطرفين مع بعضهما بعضاً فحسب؛ وإنما لكونها تشتمل أيضاً على العديد من النواحي الفنية الحضارية، من حيث مدى استخدام اللغة العربية على نحو سليم وبالسجع والقوافي، أو الكلمات العامية والمصطلحات التركية المستخدمة فيها، أو أسلوب التخاطب السائد في الحقبة التي كتب فيها الخطاب، أو حتى مدى اهتمام أصحاب الخطابات بجودة الخط العربي. فهذه النواحي الفنية تحتاج إلى دراسة مستفيضة، كما تحتاجها الناحية التاريخية من خلال الموضوعات التي تطرقت إليها.





بسم الله الرحمن الرحيم



المحترم  
باشا  
رام الله  
الرحم  
المجيد  
فعال

وعبد خفيكم الخليلي المحبنا على حبنا حبيداً نجبة الأوطان وخدمة الأقطاب والرحم لكم صاحب السيادة  
سيدته ساحة كل آفة ومنه في كل خافه آفة انا بعد الموجب لحرير رقية الوداد هو السلام عليكم  
وبركاته ثم السؤال عن صحة حاكم الشريف ولا يخفى حبنا لكم الشريف بأن نحن قد أرسلنا  
لجناب الدولة العليم كتاباً سابقاً بصحة لهذا فندته على حياة المرحوم السلطان عبد الحميد وال  
جائنا له جواب الى الآن فمسا لما نرى فيه خير الله تعالى فبا لحاضر بلقنا من جهة جناب  
السلطان عبدالعزيز بأنه ليس غافلاً عن طوارفه الذين هم محسوبين ومتعلقين عليه  
من المسلمين بخلاف السلطان عبد الحميد فعاد لما شؤك من جنابكم والله ان لا تحرجنا  
من الخاطر لأن نحن طارفه ومحسوبين عليكم ومتعرضين لخدمت جناب السلطان  
عبد العزيز ايده الله ورفقه لما يحب ويرضاه وما في خاطرناس العيوب تجده الله  
على سائرنا خاد من الواصل لخدمتكم وبه كفاية هذا ولا تقاطعوننا من اخباركم  
السائر على الدوام ومهما يبدو لجنابكم في المهام تقضى بغيره الملكة العلام وانتم  
في امان الله وحفظه وحسن رعايته وانتم جازاكم في شئنا على











